

امراض الله

ضياء سعيده

الحسين يعقوب

دارالاتباع

٠١٠١٨٧٠٨٤٥

علاج أمراض الأمة

لفضيلة الشيخ

محمد حسين يوسف

الناشر دار الاتباع الإسلامية

١٥ ش محمود حسن من أحمد عرابي - السوق - مساكن عين شمس

توزيع المكتبة الإسلامية

٣٣ ش صعب صالح من أحمد عصمت - عين شمس الشرقية - ت ٤٩٩١٢٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كافة الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع : ١٠٤٦٤ / ٢٠٠١

دار البشير للنشر
مطابع

تليفاكس: ٢٩٩٩٥٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وإن خير الهدى هدى محمد ﷺ، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد . . .

إخوتي في الله ؛ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني أحبكم في الله ، فاللهم اجعل عملنا كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئاً .

أحبتي في الله؛ قال عليه السلام : «اسألوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية»^(١) .
فاللهم إنا نسألك العفو والعافية .

وكما أن قوة الأفراد تستمد - فيما تستمد - من الصحة والعافية فكذلك شأن الأمم ، فإن استمرار الأمة . أي أمة مرهون بكمال صحتها ، ومدى معافاتها ، من الأسقام ، فاللهم احفظ علينا صحة الإيمان .

أحبتي في الله؛ لابد من البحث عن الأمراض المتفشية ، والأمراض السيئة المنتشرة في قلوب الأمة لكي نصف أسباب العلاج ؛ لأننا نحتاج أن نعالج هذه

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) وقال : حديث غريب وقال الشيخ الألباني في صحيح الترمذي : حسن صحيح .

الأمراض قبل أن تتفشى وتنتشر، فإن الرواسب السيئة تتفشى وتنتشر حتى تقتل الأمم، وإن من الأمم أمماً خلقها الله لتؤدي دوراً ثم تنتهي، أما أمتنا - أمة الإسلام - فإنها أمة خلقت لتبقى، ولتبقى إلى آخر الزمان عزيزة ممكنة، قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» (١).

أحبتي في الله : إن الإعراض عن علاج الأمراض سبب للهلاك والضياع والدمار، فلا بد من تفحص أمراض الأمة، ووصف العلاج لكي لا يتفشى المرض فيصبح وباءً، والأمراض كثيرة، ولكني سأقتصر في رسالتنا هذه على ثلاثة أمراض، وأصف ثلاثة أسباب للعلاج:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٤١)، ومسلم (١٩٢٠). واللفظ له.

أولاً : غياب فاعلية العقيدة :

أما المرض الأول الذي نراه انتشر في هذه الأيام، وهو سبب لقتل الإيمان فهو غياب فاعلية العقيدة، نعم نحن نحمل معتقداً سلفياً، الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ولكن هذا شعار وكلام، فأين الواقع والحقيقة وأين العمل؟ إن العقيدة صارت كلاماً في أذهان كثير من الناس، وتصورات نظرية في قلوبهم، أما الواقع العملي للعقيدة فأين هو في حياتنا؟!

إن الفقهاء يقولون: المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً، فإذا كانت العقيدة في الواقع العملي منعدمة شرعاً؛ فهي منعدمة حساً، أي: كأنها غير موجودة، صورة لا وجوداً ولا كيئناً في قلوبنا.

إخواناه : أين عقيدة الولاء والبراء؟! كثير منا يظن أن عقيدة الولاء والبراء فقط مجرد أن ننطق ونُصرِّح بعبادة وكفر اليهود والنصارى ليس إلا، ولكن مع اعتقادنا كفر هؤلاء وبغضهم في الله ينبغي أيضاً: أن نوالي إخواننا

المسلمين ونحبهم في الله ، وأن يُحِبَّ المسلمُ على قدر ما فيه من طاعة ، وأن يُبْغِضَ على قدر ما فيه من معصية ، وهناك كفار يُبْغِضُونَ بالكلية ، فلا ينبغي أن نُفْتَنَ بأخلاقهم ، كما كثر على السنة كثير من المسلمين أن أخلاق هؤلاء الكفار أفضل من أخلاق المسلمين ، وتعاملاتهم أفضل من تعاملات المسلمين . وهذا من البلاء فينبغي على المسلم الغيور إثبات عكس ذلك واقعياً .

ثم في المسلمين عصاة - اللهم تب على كل عاصٍ - وفي المسلمين مجرمون فسقة ظلمة ، يُحِبُّونَ من وجه كونهم مسلمين ، ويبغضون على قدر ما فيهم من معاصي ، وفي المسلمين إخوة ملتزمون يُحِبُّونَ الله ورسوله ويطيعون الله ورسوله فهؤلاء يُحِبُّونَ ، وإن ظهر منهم شيء ، أو بدر منهم خطأ ؛ عُوْتُبَ أحدهم فيه . ولكننا نرى هنا ولاءً وبراءً على الهوى لا على الشرع ، فقد يُبْغِضُ المسلم مسلماً ؛ لخلاف شخصي ، أو خلاف

مادي، ويقاطعه ويعاديهِ، وينفِرُ منه وينفِرُ عنه، ويحب من هو أكبر منه معصية؛ لأجل أنه يحترمه ويوقره، أَلستم معي - إخوتاه - في كون هذا يحصل في أمة الإسلام؟! أَلستم معي في أن بعض المسلمين يعامل النصارى واليهود أفضل من معاملته لإخوانه في الدين؟! بل يعامل العصاة أحسن وأفضل من معاملته للمتقين.!!

فغياب فاعلية العقيدة في جانب الولاء والبراء واضح، إننا بحاجة فعلاً إلى أن نعيش ديننا لنعيش ديننا بنا.

أيضاً من مسائل العقيدة الغائبة عقيدة القضاء والقدر - اللهم رضنا بقضائك وقدرك يا رب - إن كثيراً من المسلمين قد غابت عنه عقيدة القضاء والقدر، وصارت هذه المسألة عند المسلمين مجرد سؤال: الإنسان مخير أم مسير؟ ونسوا فروع المسألة، بل وجذورها وأصولها، نسأل الله أن يُصحح لنا عقيدتنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا،

وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً.

أخي في الله: إن معتقدك في القضاء والقدر يرتكز على أربعة أسس: الكتابة، والعلم، والمشیئة، والخلق والإيجاد^(١).

وارتكاز عقيدتك على هذه الأسس يجلب لك الرضا والتسليم لرب العالمين.

وهنا سأعرض إلى جزء من فروع هذه المسألة أعني قضية «الرضا برزق الله»، نجد اليوم انهماك الناس على الدنيا، ولهثهم وراءها، وبحثهم عنها، وموالاتهم ومعاداتهم عليها، وفي النهاية قلّ ما تجد من يرضى برزق الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»^(٢) نعم. إنك

(١) انظر لمزيد بيان حول هذه المسألة. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ٧٧ - ٩٩ لابن القيم ط دار الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥) وقال: حديث غريب وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (١٨٧٦).

ستصير غنياً بما أُعطيت إذا رضيت بما أُعطيت، فإنما الغنى غنى القلب، وإن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، فالله قادر على أن يغني قلبك عن البشر، وأن يغني قلبك عن المال.

أيها الإخوة: إن المسلم الموحد غني بالله لا بماله، غني بالله لا بجاهه ومركزه الاجتماعي، غني بالله لا بما يملك من شهادات ومؤهلات.

نعم. أنت عندما تكون غنياً بالله لا تحتاج إلى مال، ولا تحتاج إلى خلق، ولا تحتاج إلى شهادات، تصير غنياً بالله الغني الحي الذي لا يموت، الدائم الذي لا يبيد، حين تكون غنياً به تستغني وإن لم تملك.

إن كل الناس اليوم في رعب من الأمراض التي تفشت ولكننا إذا رضيينا بالقضاء والقدر؛ سكن القلب تحت مجاري الأحكام؛ فيكون الإنسان مخبئاً مسلماً هادئاً محبباً راضياً، يناجي مولاه فيقول: يا الله إن قطعتني إرباً إرباً فأنا لك محب. يعيش الحب الحقيقي

لله، فلا يعيش الخوف والقلق، ولا يعيش الهم والنكد والألم، وإنما يعيش يومه راضياً، وغاية مناه أن يكون مطيعاً لله، ثم ما كان بعد ذلك في نفسه أو ماله أو زوجه وولده؛ فذلك بيد الله، وهو راضٍ به، فراضٍ بكل ما يقدره سبحانه وتعالى.

إخوتاه: أليس في قلوبكم عقيدة صحيحة في أن الله هو الرزاق، فلما تحملون همَّ الرزق؟! أليس في قلوبكم عقيدة أنه لن تموت نفس إلا بإذن الله، فلماذا تخافون من غير الله؟! ولما ترهبون من غير الله؟! ولما تتوانون عن طاعة الله؟! وتطيعون غير الله في معصية الله؟!

ألست مؤمناً بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؟! نعم. إننا بحاجة إلى أن تكون لعقيدتنا فاعلية في واقعنا.

فإننا نملك عقيدة قوية، عقيدة عظيمة وعلية، لو صنعت منك رجلاً لعشت رجلاً يُرهب جانبه، ولا يخاف غير الله، نسأل الله أن يثبت على الإيمان قلوبنا.

ثانياً: غلبة العاطفة على الواقع الفعلي والعملي:

إن كثيراً من المسلمين اليوم يعيش بعواطفه ولا يعيش بالسنن الكونية والربانية والشرعية .

إنك كثيراً ما تخاطب إنساناً فتقول: اعمل فيقول: ربنا يُسهِّل ، الله المستعان، ربنا يصلح الحال، ادعُ الله أن يهديني ، فحين تكلمه يكتفي بالحوقة والحمدلة والحسبة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، هذا كله كلام طيب ذكرُ الله، ولكن يُذكر فيه سبحانه وتعالى على الغفلة، إنني أغار من نطقه بها على لسانه ، فهذا عدم توقير لله؛ كما صار في عرف كثير من الناس أن من قال: «إن شاء الله» فهو لن يفعل المطلوب منه، فهل الله يذكر على الغفلة؟! أو يذكر على عدم العمل؟! أو يذكر لإسكات الناس؟! فاتقوا الله يا عباد الله ، الله في دينكم، الله في أقوالكم، الله في أعمالكم، نعم صار الدين عواطف، واتباع العواطف ضيِّع الأمة، لذلك تجد نفسك تنفعل أثناء الخطبة،

وتنفعل أثناء الدرس ، وتتحمس حماسة وقتية لا تغني ولا تسمن ؛ فسرعان ما تفتر فتضيع .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ
لَهُمْ أِئْبَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ
كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [النساء: ٧٧] .

إن الحماسة الوقتية الطارئة المفاجئة لا تصلح ،
سرعان ما تهبط ، سرعان ما تنتهي ، لا تنفع ولا تؤدي
إلى عمل ، إنما الذي يؤدي إلى عمل : قناعة قلبية ،
واستعانة بالملك القدوس جلَّ جلاله .

لقد غلبت العاطفية على الأمة حتى صار الحب
والبغض بالعواطف ، وصار تعلم العلم بالعواطف ،

وصار العمل في الدعوة بالعواطف، والسير في الطريق إلى الله بالعواطف، وحضور حلقة قرءان أو مجلس علم بالعواطف، وغاب اتباع السنن الربانية الكونية.

لقد أراد الله جلَّ جلاله أن يحكم الكون بسنن غاية في الدقة والثبات، ومن لم يتبع تلك السنن فأبداً لن يصل؛ لذلك فالنبي ﷺ أراد أن يعلم الأمة اتباع السنن، وعدم الاتكال في كل المواقف، فابتداءً في تعلم العقيدة والتربية على الصبر قال لخباب بن الأرت: «والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»^(١) فهذه تربية على الصبر الإيجابي، يعني صبر مع انتظار النصر، ثم في خروجه إلى الهجرة ﷺ اتباع السنن في التخطيط والتدبير والتثبيت، والاستعانة بالله سبحانه وتعالى، ثم حين نزل في المدينة، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فلم يدع الأمر

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٦).

للعواطف، وإنما بالإلزام، أنت أخو فلان، ثم بعد ذلك لما أراد بناء المسجد يشاركونهم البناء بنفسه - بأبي هو وأمي عليهما السلام - يعلمهم أن النصر لا يأتي من فراغ، وإنما يأتي بتربية الرجال، الذين ينطلقون من المسجد من بيت الله بعد أن يكونوا إخوة، فاتخذ أعمق وسيلتين : المؤاخاة بين المسلمين فيصIRON إخوة، وأن ينطلقوا من بيت الله، وعلى هذا استمرت حياته وانطلق صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً : اتباع الهوى والشهوات :

اتباع الهوى مرض أعجز الأطباء، وتناول الشهوات والتوسع فيها داءٌ عضال أعجز المداوين ، وإنما اتباع الهوى سببه غياب المنهج، وضعف فاعليته في النفس، فالذي يلتزم هوى، إنما يلتزمه لهوى في نفسه ولرغبة كامنة فيه .

انظر - أخي في الله - إلى ربيعة الرأي، ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، كان يجلس يوماً على كرسي الدرس

فغلبه البكاء فبكى وانتحب ثم تغطى ببرده ورقد،
ف قيل : مالك؟!!!، قال : رثاءً ظاهر، وشهوة خفية.
سَلِّمْ يا رب سَلِّمْ، الرَّجُلُ عِلْمٌ فاعترف، وأنت
جهلت فأنكرت.

إخوتاه: كم سألتكم ولم تحيوا أنفسكم!! وكم
سألتكم ولم تنتبهوا لإخلاصكم!! كم سألتكم وما زال
النوم يغلبكم!! علام اتبعتمونا؟! إن الرجل الذي قَسَمَ
له رسول الله ﷺ حَظَّهُ من الفيء ألقاه وقال: ما
على هذا اتبعتك، إنما تبعتك لأضرب بسهم هاهنا
فأموت فأدخل الجنة.

أخي في الله: علام اتبعت دين الإسلام؟ علام
اتخذت طريق الالتزام؟ علام أتيت المسجد لصلاة أم
لهوى في نفسك؟ علام أعفيت لحيتك؟ علام قصرت
ثوبك؟ علام غيرت اهتماماتك؟ علام وإلام؟

إخوتاه: إننا في حاجة إلى وقفة، هل نعبد الله أم
أننا نتبع أهواءنا وشهواتنا؟ إن ضياع هذا الأصل الأصيل

الإخلاص؛ ضيِّع كثيراً من الناس، إنني أعود إلى أصل جامع، وإلى عنصر سابق، وهو أننا بحاجة إلى حسنة واحدة، فلو تقبل الله مِنَّا حسنة واحدة لرحمنا بها، اللهم تقبل مِنَّا أعمالنا يا رب، فلا تُضَيِّع مِنكَ حسنة ففعل هذه الحسنة هي التي بها ترحم.

ونعود بهذا الأصل الذي هو اتباع الهوى إلى الولاء والبراء، وإلى القضاء والقدر؛ ليكون هذا المرض الثالث جامعاً لشتات الجميع، فتجد من التزم على الهوى، وحصلت بينه وبين أخيه مشادة، أو مشكلة، أو شحنة، أو بغضاء، لسبب من الأسباب، تجده يترك الالتزام ويتلَّون، ويريد أن يخوض في عرض أخيه فيشتم ويتنقص، فمن النَّاس من كان التزامه أن يَسْبُ هذا ويتنقص من قدر ذلك، ويقع في عرض هذا العالم وذاك الداعية ويقول: جَرَحٌ وتعديل.

ولحوم أهل العلم مسمومة فما كان مآله إلا الهلكة. وبعض الناس دخل في الالتزام فشق عليه فأراد أن

يريح نفسه من همّ صلاة الجماعة، ومتابعة الجُمُعات، وحضور مجالس العلم، واتباع الجنائز، وعيادة المريض، فتلقفته أيدي أهل التكفير فذهب إليهم، وكَفَرَ الخَلْق وانتَهت القضية، وعلى هذا فقس. ومن أراد أن يريح نفسه من قضية تعلم العلم، فعنده من يقول: «أكل ونوم وحسنات بالكوم» وهكذا كل من يبحث عن هوى يجد ما يوافق هواه، ويجد من يزعم له أنهم أهل كتاب وسنة، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

ينبغي لك وقفة - أخي المسلم - حين تضيّع زوجتك وأولادك لتعمل في الدعوة فعملك في الدعوة هوى؛ لأنه لو فيك خير ما ضيَّعت من تعول، قال رسول الله ﷺ «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»^(١) فهو لاء أولى الناس أن تنجو بهم. قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) أخرجه أبو داود (١٦٩٢)، والإمام أحمد في مسنده (١٩٤/٢)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود.

الأقربين ﴿ الشعراء: ٢١٤ ﴾ وإنك أيضاً حين تعيش بعلم من العلوم وتضئع باقي الدين فهوى، تعيش للهوى ولما يمتعك ويرضي غرورك وشهوتك، إنما بحاجة إلى فقه النفوس، فافقهوا عني يرحمني ويرحمكم الله.

إن الله الذي فطر النفوس جعل لكل نفس رزقاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - «كما أن الله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر، فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم، هذا رزق الأبدان وقوتها، وذاك رزق القلوب وقوتها» اللهم أوسع من الخير أرزاقنا، فله أرزاق، الصلاة رزق، والصيام رزق، وقيام الليل رزق، والذكر رزق، والقرآن رزق، والدعوة إلى الله رزق، فلا تتشبث بجانب فلعل رزقك في جانب آخر، افقه وتنقل في مراتب العبودية، كن حراً، إن طلاقة العبودية أن تعيش عبداً لله على ما يحب هو لا على ما تحب أنت، بمعنى أنه إذا جاء وقت الصلاة فعبودية الوقت هي الصلاة، وإذا كان معك مال وجاءك سائل فعبودية

الوقت أن تعطي هذا السائل ، وهكذا تنقل في العبوديات ، ولا تحصر نفسك في جانب منها ، فلعل الخير في سواه .

كيف العلاج ؟

هذه أمراض ثلاثة خطيرة ، أدواء أخذت بقلوب الأمة فاهلموا إلى العلاج .

وابتداءً أقول : أخي في الله هل راودتك نفسك يوماً على معصية أو عرضت لك يوماً معصية فوجدت نفسك تقع فيها بسرعة؟ أو هل تعارضت يوماً شهوة مع طاعة ، فغلبت شهوتك وقصرت مع ربك؟ أو هل ابتليت مرة بمصيبة فعجزت عن الصبر والتسليم؟ إذا كان قد حصل لك شيء من هذا أو كان منك كل هذا ، فهذا دليل على ضعف الإيمان ، وضعف الإيمان بسبب الأمراض التي تمرض قلبك ، لأن العبد يسير إلى الله بقلبه ، والقلب إذا ضعف لم يقو على السير إلى الله ، فاستحسر وانقطع .

لذلك أقول: أخي في الله إن ضعف الإيمان علاجه أولاً عقيدتك في أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، إذا أنت تحتاج إلى أن تزيد إيمانك بفعل الطاعات، فاللهم ارزقنا فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا، وإذا أردت بقومنا فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين.

تقول: منذ زمن وأنا أعرف هذا العلاج ولكني لا أفعله، أشتهي قيام الليل ولا أقوم، أتمنى حفظ القرآن ولا أحفظ، أمنية حياتي أن أختتم القرآن كل شهر، ولكني لا أطيق، وأقول: علاج ذلك في أسباب ثلاثة سريعة:

١- حذر فجأة الموت وحسرة النوب؛

إخواناه: إن الموت يأتي بغتة، كم من أناس كانوا معنا في الجمعة الماضية، وهم اليوم تحت أطباق الثرى. لو قيل لهم: تمناوا؛ لتمنوا ساعة يعودون فيها فيتوبون ويصلحون ما أفسدوا.

والحذر - إخوته - كل الحذر من الموت على الكفر، فإنه حالة فجأة الموت واستشعار حسرة الفوت قد تجعل القلب يكفر بالله العظيم، ويكره لقاء الله، ويبغض الله، فينطق عند الموت بكلمة الكفر؛ لأن الذي تتضمنه القلوب، وتعيشه الأئدة، وتُسره السرائر؛ لا بد أن يخرج، لا بد أن يظهر في فلتات الألسن، عند هول المصائب حين يُفجأ بالهول فيذهل فينطق بما يضره فؤاده.

أخِي فِي اللَّهِ : إياك أن تزيع هذا الكلام عن رأسك أو تبعده عن عقلك أو تستصعبه على نفسك، لا بل أنت مُعَرَّض لأن يكون منك هذا، إننا بحاجة إلى أن نعمل ونتوب قال رسول الله ﷺ : «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها» ^(١) إننا بحاجة إلى أن نتوب، ونعمل صالحاً، وبسرعة قبل أن يفجأنا الموت، قال ربي وأحق القول قول ربي ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وقال : حسن صحيح.

الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٢٥﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٦﴾ [المؤمنون:

٢٩٩] حين يفجأك الموت ستقول حتماً: رب ارجعون عليّ أعمل صالحاً، فيقال: كلا: قد انتهت أمامك اليوم أي فرصة أخى: هل قرأت اليوم سورة الكهف؟ هل قلت أذكار الصباح والمساء؟ هل صليت الفجر في جماعة في الصف الأول؟ هل قمت الليلة الماضية؟ هل أكثر من الصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم وتلك الليلة؟ هل استغفرت مائة؟ هل قرأت اليوم جزءاً من القرآن؟ هل عدت مريضاً؟ هل شيعت جنازة؟ هل تصدقت اليوم بصدقة؟ إن الأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى . ماذا فعلت اليوم؟ لا شيء ، ما الذي يمنعك؟! لو مت الآن في هذه اللحظة فستقول: يارب أخرني ساعة أفعل هذه الطاعات وأعود إليك، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ

الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿[المنافقون: ١٠، ١١]﴾ وقال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿[الفجر: ١٩ : ٢٤] ، عرف أن الآخرة حياته، عرف أن الآخرة بقاؤه ودوامه، فاعمل قبل أن تقول: ياليتني، وتخيل معي هذه الصورة: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿[السجدة: ١٢]﴾ فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك .

٢- حذر فحاة العقوبة :

أخي في الله : هل عصيت الله مرة فسترك ولم يفضحك؟ هل عصيت الله مرة فلم يعاجلك بالعقوبة وحلم عليك وأمهلك؟ هل عصيت الله مرة فلم يسلب منك نعمه وإنما أمدك وأمهلك وتركك ترفل في نعمه

ظاهرة وباطنة؟ هل حدث لك هذا مرة؟ لا! بل كثير،
 كم عصيته وأمهلك؟ ألا تحذر أن يغضب الحليم؟!
 ألا تحذر أن ينتقم الرحيم؟! ألا تحذر أن تفجأك
 عقوبة الملك العظيم؟!

أحيتي في الله: كم عصيناه وسترنا، فاللهم لك
 الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على
 معافاتك وعدم عقوبتك، لا نحصي ثناءً عليك، يعلم
 وسخ باطنك وما زال يستر ظاهره، اللهم أدم علينا ما به
 سترتنا، ومتعنا بما له هديتنا.

إخواني في الله: المعاصي بريد الكفر، والمعاصي
 طريق الهلاك.

قال ابن القيم: «من عصى وظن أنه لا يعاقب فهو
 إما جاهل وإما مجنون، فلا بد لكل معصية من عقوبة،
 قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فلا بد
 من الجزاء في الدنيا قبل الآخرة قبل أن تتوب».

يقول ابن الجوزي في كلام له رائع: «سبحان الله

العظيم يهمل كأنه يهمل فترى أيدي العصاة مطلقة كأنه لا مانع ثم إذا أَخَذَ أَخَذَ أَخَذَ جبار فترى على كل غلطة تبعة، وقد تجمع الغلطات فيؤخذ الظالم بالحجر الدامغ على حين غرة فيقول الناس: لِمَ عُوِّقَ وهو رجل صالح؟! فيقول لسان القدر: عقوبات وحدود لذنوب خفية صار استيفاؤها ظاهراً.

الله يهمل كأنه يهمل ولكنه أبداً لا يهمل.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» ^(١) فهناك نعمة من نعم الله عز وجل اسمها نعمة الإمهال، من مقتضيات اسمه الصبور الحليم، زنت وراءك وسترَكَ وعافاك، وسرقت وراءك، وسترَكَ وعافاك، وكذبت وسمعك وعافك وأمرها لك، واغتبت ونممت وءاذيت وأسأت وتكاسلت عن الصلاة، نمت عن الفجر، وضيعت الظهر في جماعة، وبالغت

(١) أخرجه الترمذي (٣١١٠) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه

(٤٠١٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٣٤٥).

في الغفلة، ونسيت القرآن، وهجرت الإخوة، وغلب عليك عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والله يسترك ويعافيك، بل يمدك ويعطيك، أخي ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥] لم يقل من المنتقم، من الجبار، من العظيم، من الجليل، من المتكبر . . . لا بل من الرحمن الذي رحمك طويلاً، وسترك كثيراً، وعافاك عمراً مديداً، فأخشى أن تُحوّل عنك رحمته فتنزل عليك عقوبته، قال الله جل جلاله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧] .

ألا تخاف أن يتليك الليلة بشلل نصفي؟! ألا تخاف أن يعاقبك اليوم بفشل كلوي؟!
ألا تحذر أن ينتقم منك الساعة بسرطان في الدم؟!
بنزيف في المخ؟! قادر أم لا؟!

وقد يجمع لك كل هذا، وأنت ساعتها تستحق هذا وأكثر قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾ [النحل: ٦١] ، وقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ [الكهف: ٥٨] وقال: ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٩٧) أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[الأعراف: ٩٧: ٩٩] وقال: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] وقال: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ

الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ
وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
وُجُوهَهُمْ مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
[الزمر: ٥٥، ٦٠].

فاحذر أيها الكذاب فإن وجهك سيسود يوم القيامة،
هناك فلم تستعمل هناك في طاعته، هناك ففررت
وتلاعبت وتلوّنت، وإنما استعملت الهدى في ما يوافق
هواك فضللت وأضللت، تب واعمل صالحاً، وعجل
بالصالحات قبل أن تنزل بك العقوبة فيعاقبك بسلب
النعمة.

٣. تأمل أحوال المسلمين في العالم:

أنت هنا تعيش في عافية، فقل: الحمد لله، إذا
أردت عمل الطاعات فالمجال واسع، وإذا أردت من
يذكرك بالله وجدت، وإذا أردت من يعينك على طاعة
الله فلن تُعَدَم.

ولكن تخيل نفسك مع إخواننا هناك في الشيشان،
إذا رفع رأسه في الصلاة جاءت قذيفة فأطاحت برأسه،
أرأيت لو كنت هناك، لا طعام ولا شراب ولا مأوى
ولا معين ولا ملجأ إلا إلى الله .

اللهم كن لهم ولا تكن عليهم، وامكر لهم ولا تمكر
بهم، وأعنهم ولا تعن عليهم، وانصرهم ولا تنصر
عليهم، وانتقم من الروس المجرمين .

أرأيت بعد هذه الغفلة التي تعيش فيها، كيف
ستصنع لو صار هنا كهناك، وأنت بمجرد حذر بلاء غير
متوقع تخلق لحيتك !! ، ومن أجل جنيهاات تهدد بها
في عملك تبيع دينك !!

أرأيت لو كنت في جنوب لبنان أو في فلسطين أو
في الفلبين أو في بورمة وتايلاند وكشمير مع المعذبين
المضطهدين في أنحاء الأرض، اللهم أنصرهم على
أعدائهم، اللهم أعنهم وثبتهم على دينهم، اللهم وانتقم
من كل من عذبهم .

كيف كنت ستفعل؟! ألا تغتنم ساعات العافية قبل أن ينزل البلاء وتتحول العافية؟! أما تخشى المرأة التي لا تلتزم اليوم، أن يكون هنا كما يحدث في البوسنة والهرسك من اغتصاب النساء؟! ألا تحذر أن تغتصب؟! ألا تُستعمل طاعة الله اليوم شكراً للنعمة قبل أن تتحول النعمة؟!!

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد، اللهم يا أرحم الراحمين يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم صل على النبي محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، رب ارحم ضعفنا واجبر كسرنا وتولى أمرنا وأحسن خلاصنا واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

الضمير

الصفحة

الموضوع

- المقدمة ٣
- أولاً: غياب فاعلية العقيدة ٦
- ثانياً: غلبة العاطفة على الواقع الفعلي والعملي ١٢
- ثالثاً: اتباع الهوى والشهوات ١٥
- كيف العلاج ؟ ٢٠
- ١ - حذر فجأة الموت وحسرة الفوت ٢١
- ٢ - حذر فجأة العقوبة ٢٤
- ٣ - تأمل أحوال المسلمين في العالم ٢٩